حازم جواد في مراجعة متأخرة للتاريخ (2.1)

مطالب عارف بالوحدة لم تكن الإ لإزاحة قاسم عن السلطة.. ودعوات عفلق للوحدة لم تكن لوجه الله

هجوم جواد على قاسم قام على هرطقة الشيوعي خيري.. و«الزعيم» كان الوحيد الذي امتلك خطة لتحرير فلسطين

د. علاء الدين الظاهر *

■ بعد ثلاثة واربعين عاماً من انقلاب 8 شباط (فبراير) نشر حازم جواد مذكراته والملفت للنظر انه على الرغم مما آل اليه وضع العراق بسبب ذلك الانقلاب وبسبب استيلاء حزب البعث على السلطة في العراق وظهور العديد من المراجعات او التراجعات الناضجة عن ذلك الانقلاب وعن عهد عبد الكريم قاسم فإن حازم جواد لا يزال يستخدم لغة المنشورات السياسية من فترة الستينيات واساليب احمد سعيد في الدعاية فيها هو يصحو من نومة اهل الكهف. فالامور تقلب على رأسها في مذكراته. الغادر يصبح مغدورا والمفتري يصبح مفتريا عليه.

الفكر القومي العربي

مر الفكر القومي العربي بمراحل متعددة. ففي البداية كانت هناك النزعة لاعادة الخلافة الاسلامية من الترك الى العرب ومن ثم اعادة انشاء الدولة الاموية وعاصمتها دمشق. ومن ثم جاءت التأثيرات القومية الاوروبية على الشباب العرب الذين تعلموا في اوروبا او كانوا على احتكاك بالثقافة الاوروبية. ثم جاء رد الفعل على الحركة القومية التركية وتأثير هذا على بعض الضباط العرب الذين وجدوا في هذا الحركة القومية التركية اعاقة لتقدمهم المهني. وبعدها جاء التأثير النازي على الفكر القومي العربي. وبعد تلك الفترة جاء الفكر القومي المبني على (اللغة) لساطع الحصري ثم اخذ البعد الاسلامي دورا فيه ضمن تنظيرات المرحوم عبد الرحمن البزاز ولم تنته لحد اليوم التنظيرات العروبية. ومن ضمن هذه الافكار جاء فكر حزب البعث.

احتوى الفكر البعثي على تعابير تبدو جذابة وعاطفية مثيرة مثل (الانقلاب على الذات) و(روح الامة). ولأن معظم المتأثرين بها كانوا من طلاب المدارس او في بداية تعليمهم الجامعي وممن لم يمتلكوا القدرة على النقد او حتى التفحص فقد اصبحت شعارات البعث وتعابيره اناجيل وقرائن مقدسة بحيث لم تطرح حتى ابسط الاسئلة على هذا «الفكر» البعثي. ماذا يعني (الانقلاب على الذات) اذا كان المؤمن بعقيدة البعث عربيا؟ هل يصبح هنديا او فرنسيا؟ ماذا يعني (الانقلاب على الذات) اذا كان المؤمن بعقيدة البعث مسلما؟ هل يصبح هندوسيا او زارودشتيا؟ ماذا يعني (الانقلاب على الذات) اذا كان المؤمن بعقيدة البعث شخصا سويا؟ ماذا يعني (الانقلاب على الذات) اذا كان المؤمن بعقيدة البعث ذا سلوك جنسي مستقيم؟ وما هو تعريف (روح الامة)؟ وكيف يمكن قياسه؟ هذه الكلمة المبهمة والمترجمة اصلا عن الكلمة الالمانية (Volksgeist) والتي نزعت من جذورها الالمانية الرومانسية وأدخلت علينا بلا روح تماما مثل تسمية العراق بـ (بروسيا العرب) والتي تم شحن عقول اجيال من العراقيين بها من دون ان يدرك احد ان بروسيا الالمانية اختفت من الخارطة واصبحت جزءا من الاتحاد السوفييتي (حاليا الاتحاد الروسي) بل إن ثلث المانيا اصبحت جزءا من بولندا. فهل اراد ويريد البعثيون والقوميون للعراق ان يوحد العرب ويختفي من الوجود ويصبح جزءا من ايران او تركيا؟ وهل كان العراق فعلا مؤهلا ليلعب دور بروسيا في توحيد المانيا وهو المقسم طائفيا وعرقيا؟ لنحتكم الى تعريف علمي للبروسي وفقا لتعريف عالم الفيزياء نيلز بور اثناء نقاشاته بعد الحرب العالمية الاولى مع زميله الالماني فيرنر هايزنبرغ (البروسي هو من يُنمذج نفسه على الفارس التيوتوني الذي اقسم يمين الراهب المسيحي على الفقر والزهد والطاعة لينشر النور المسيحي وفي يده السيف). أي عراقي ينطبق عليه هذا التعريف؟ بل أي عربي ينطبق عليه هذا التعريف؟ لكن تعابير مثل (بروسيا العرب) و(الانقلاب على الذات) و(روح الامة) خلبت عقول صبيان المدارس وجلبت الكوارث على سورية وعلى العراق.

انجذب لهذا الفكر البعثي العديد من طلاب المدارس ومن خريجي دورات اعداد المعلمين الابتدائية والذين لم تعادل شهادتهم بالثانوية والعديد من مثيري الشغب او ممن يعرفون في العراق بـ (الشلايتية) وعدد من الضباط وكانت غايتهم الوحدة القفز الى السلطة من خلال الانقلاب العسكري وهم في مقتبل العمر من دون أي خبرة عملية او سياسية او تعليم يذكر. هكذا كان حال حازم جواد عندما اصبح وزيرا للداخلية وهو في السابعة والعشرين من العمر من دون ان يلتحق بأي وظيفة قبلها ومن تعليم غير مكتمل لا يزيد على سنتين من الدراسة في دار المعلمين العالية. وهو لم يكن الحالة الوحيدة فكل قيادة حزب البعث كانت على هذه الشاكلة في بلد لم يخلُ من الكفاءات والقدرات.

الوحدة العربية

دعني أدع امرا للمرة الاولى، وجدت بين اوراق المرحوم والدي اشارة الى وجود اتفاق بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف بدخول الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة. ولا اعرف اذا كان لوالدي معرفة مباشرة ام انه تأييد لادعاء عبد السلام عارف بوجود هذا الاتفاق لأن الوحدة العربية كانت من هوى والدي السياسي. واعتقد ان اللاحق وليس السابق هو الصحيح لأنه في نفس الاوراق يتحدث والدي عن تشكيل مجلس قيادة ثورة وعن مجلس من الخبراء يساعد مجلس قيادة الثورة وعن حكومة من السياسيين وكل هذه الامور لا معنى لها اذا كانت الغاية من الثورة هي الدخول في وحدة فورية مع الجمهورية العربية المتحدة. كما ان محسن حسين الحبيب ذكر في مذكراته بأن الدخول في وحدة فورية مع الجمهورية العربية المتحدة كان فقط في حالة تعرض الثورة لعدوان خارجي. ومع ذلك ولغرض النقاش دعني اقر بوجود اتفاق بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف بدخول الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة. كلنا نعرف انه في البلدان الغربية هناك برنامج انتخابي للاحزاب قبل الانتخابات لكن هذا البرنامج يتغير بعد الفوز في الانتخابات واستلام السلطة حيث ان هناك فارقا بين أن تكون في المعارضة وبين ان تكون في السلطة. كما ان نفس الضباط السوريين الذين وقعوا على اتفاقية الوحدة حذروا عبد الكريم قاسم من دخولها. وكان هناك واقع رفض الاحزاب السياسية العراقية الرئيسية لدخول الوحدة. فتلك الاحزاب كانت قد عانت من قمع النظام الملكي ولم تكن مستعدة للقبول بحلها وإرسال قادتها الى بيوتهم كما حصل مع قادة الاحزاب السورية عندما دخلوا الوحدة. وهناك المشكلة الكردية والتي لم يكن عبد الكريم قاسم راغبا في تجاهلها.

ليس هناك من حيث المبدأ (على الاقل لدي شخصيا) اعتراض على قيام الوحدة العربية. الاعتراض هو على الطريقة التي تتم بها الوحدة العربية وتحت أي شروط. وهذا في اعتقادي هو نفس ما كان يفكر به عبد الكريم قاسم. الوحدة اذا قامت على العاطفة فستنهار لأن العاطفة تثور بسرعة لكنها تخبو بسرعة اكبر. وهذا ما حدث بالضبط مع الوحدة السورية ـ المصرية وانهيار الجمهورية العربية المتحدة. اما اذا كانت الوحدة مبنية على المصالح والمنافع وتتم دراستها من جميع الاوجه وتعود بالمنافع على الاطراف المشاركة بها فهي وحدة ستبقى وتصمد. فما معنى ان يدخل العراق في اتفاقية وحدة مع مصر تبتلع فيها مصر الموارد النفطية للعراق بينما يتضور أهل الجنوب العراقي جوعا؟ وحدة بهذه الطريقة ليست وحدة وإنما هي ارتكاب لجريمة الخيانة العظمى بحق العراقيين. هذا كان باختصار موقف عبد الكريم قاسم من الوحدة العربية. كانت رغبته في ان يبني كل بلد عربي نفسه ويدخل في اتحاد فدرالي. ومن الغريب ان عبد الرحمن البزاز وهو احد المتحمسين للوحدة العربية كان ايضا يدعو الى الاتحاد الفدرالي.

اصبح من الواضح للجميع بأن مطلب عبد السلام عارف بعد ثورة 14 تموز (يوليو) بالوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة لم يكن صادقا وانما كان لإحراج عبد الكريم قاسم وإزاحته عن السلطة. ولو كان عبد السلام عارف صادقا لأعلن الوحدة الفورية مع مصر بعد انقلاب 8 شباط (فبراير) 1963. بل إنه ووفقا لمذكرات جميع وزرائه ترك كرسيه اثناء مفاوضات الوحدة مع جمال عبد الناصر عام 1964 ووقف خلف الكرسي ومسك به قائلا (لقد ضاع هذا الكرسي مني مرتين ولن ادعه يضع مني مرة ثالثة) ولم تنفع معه محاولات اقناعه بأن يصبح نائبا لعبد الناصر.

لم تكن مطالبة ميشيل عفلق واصراره في عام 1958 على دخول العراق الوحدة الفورية لوجه الله. فقد ادرك البعثيون السوريون انهم اخطأوا بدخول هذه الوحدة فقد تصوروا انهم سيحظون بحصة الاسد في السلطة لكن احلامهم تبخرت ووجدوا انفسهم لا في العير ولا في النفير في ظل سلطة شمولية قطبها واحد هو عبد الناصر. لذلك كان ميشيل عفلق يتصور ان دخول العراق لتلك الوحدة سيعطي توازنا للعلاقة مع عبد الناصر. ولو دخل العراق تلك الوحدة لانهارت بعد ثلاثة اشهر. هذه العلاقة غير المتكافئة بين البعثيين وعبد الناصر هي التي قادت الى استقالة وزرائهم من الحكومة وأدت الى انهيار الوحدة. بل ان البعثيين انفسهم كانوا اول من ايد الانقلاب العسكري الذي انهى تلك الوحدة. من هدم دولة الوحدة بين مصر وسورية؟ هل هدمها عبد الكريم قاسم؟ أليس حزب البعث نفسه هو احد المسؤولين عن انهيارها؟

ومع ذلك يذرف حازم جواد دموع التماسيح على تلك الوحدة. بل انه وحزبه البعثي كان احد الاطراف الرئيسية في مفاوضات النصابين والمحتالين فيما يعرف باتفاقية الوحدة الثلاثية لعام 1963. كان البعثيون السوريون يناورون من اجل تقوية مركزهم في سورية على حساب الناصريين ونفس الحال كان مع بعثيي العراق. اما عبد الناصر فكان يناور من اجل تقوية موقع انصاره على وجه الخصوص في سورية. وحتى مؤلف الكتب العديدة عن القومية والوحدة العربية عبد الرحمن البزاز لم يترك الفرصة تفوت من دون ان يقول ان العراق لا يستطيع دخول الوحدة بسبب مشاكل الاكراد ومن وصفهم بـ (الشعوبية) وهي كلمة غالبا ما كانت يعنى بها الاغلبية الشيعية. غريب عجيب امر هؤلاء البعثيين والعروبيين. اقاموا الدنيا ولم يقعدوها عندما قال عبد الكريم قاسم يجب ان نحل المشكلة الكردية اولا قبل دخول الوحدة وعندما يستلمون السلطة يكررون نفس الكلام ويزيدون عليه. ولم يكد حبر هذه الاتفاقية الوحدوية الثلاثية يجف حتى انفجر الصراع على العلن بين البعثيين والناصريين على اشده سواء في العراق او في سورية.

في العراق ذهب السفير المصري امين هويدي الى عبد السلام عارف يحذره بل يهدده في حالة اعدام بعض القوميين المشاركين في محاولة انقلابية فاشلة. وبعد محاولة محمد علوان الانقلابية الفاشلة في سورية ارسل علي صالح السعدي برقية تأييد الى رفاقه في سورية يقول فيها (اسحقوهم حتى العظم) ولم يكن بعثيوا سورية بحاجة لهذه النصيحة فقد قاموا بسفك دم القوميين من دون رحمة. هكذا كان مصير رفاق النضال المشترك من اجل الوحدة العربية وضد عبد الكريم قاسم. اذا استغرق الخلاف بين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم سبعة او ثمانية شهور وانفجر بعد محاولة الشواف الانقلابية الدموية فإنه لم يأخذ اكثر من ستة او سبعة اسابيع ولم يكن حبر الاتفاقية الوحدوية بينه وبين البعثيين قد جف. وانتهى النضال من اجل الوحدة العربية بدعوة صالح مهدي عماش الى اتفاقية تعاون عسكري!!!!!

ليس المهم من كان وراء انقلاب عبد الكريم النحلاوي لأن انهيار تلك الوحدة كان مسألة وقت ليس إلا لأن الوحدة قامت على اساس هزيل واستمرت تحت حكم المخابرات. اجتمع بعض الضباط السوريين في نهاية عام 1957 وقرروا ركوب الطائرة والدخول في مفاوضات مع عبد الناصر من اجل الوحدة الفورية. ثم بعثوا احد الضباط ليخبر الرئيس المنتخب بقرارهم هذا. ولم يكن هذا الرئيس شخصا تافها وانما احد اوائل القومين العرب: شكري القوتلي. وتجاوز هؤلاء الضباط على سلطة الحكومة المنتخبة وعلى سلطة البرلمان المنتخب. فهل انقلاب النحلاوي جريمة ام تلك التي تجاوزت على الدستور وعلى الرئيس المنتخب وعلى الحكومة المنتخبة وعلى البرلمان المنتخب. الجريمة لم تكن جريمة «الانفصال» بل جريمة اقامة الوحدة بتلك الطريقة. وسأشرح لماذا.

لو جرى استفتاء وقيل للسوريين ان اجهزة المخابرات هي التي ستحكم وان المصريين سيتسلطون عليهم وان الفلاحين المصريين سيتم توطينهم في سورية وإن البطالة المصرية سيتم حلها بتوظيفها في سورية بدلا من السوريين وإن التأميمات ستلحق بالقطاع الخاص وإن كل ضابط مصري سيتصرف وكأنه سلطان مولى عليهم وان الحياة الديمقراطية ستلغى فهل كان السوريون سيوافقون على هذه الوحدة؟ وفي العراق هل يوجد عراقي يؤيد الوحدة لو قيل له ان الوحدة ستعني تسليم ثروته النفطية الى مصر وتوطين الفلاحين المصريين فيه؟

هذا هو الفرق بين الوحدة التي تتم عن طريق المظاهرات التي يتم حشدها بإثارة العواطف وبين النقاش السياسي والمفاوضات. هذه هي وظيفة البرلمان وهذه وظيفة الحكومة التي تناقش هذه الامور والتي لو ناقشتها بموضوعية لوجدت ان الاختلاف كبير وفي جميع الوجوه بين النظامين السوري والمصري ولا يصلحان للوحدة. بل اصبح من الواضح لاحد الضباط المشاركين في مفاوضات الوحدة الفرق بين النظامين. كان الوفد السوري يتفاوض مع الوفد المصري وفجأة دخل بطريق الخطأ وزير الخارجية المصري محمود فوزي الى الغرفة فاعتذر وأغلق الباب بهدوء وعاد من حيث اتى. صرخ عفيف البزري (ما بيجوز، ما بيجوز كيف وزير الخارجية لا يشارك في المفاوضات) لأن وزير الخارجية في سورية ليس طرطورا كما هو الحال عند عبد الناصر.

وحتى وحدة اليمن لم تكن فورية. مرت اكثر من عشرين سنة قبل قيام الوحدة بين اليمن الجنوبي واليمن الشمالي رغم ان الثقافة واحدة والشعب واحد والقومية واحدة والرغبة موجودة للوحدة لدى الشعبين. وهذه الوحدة لا تزال باقية بقوة الدبابات وليس برغبة شعبية بسبب الممارسات وبسبب طريقة الحكم. المانيا قُسّمت واُحتلت تماما مثلما قُسّم اليمن واُحتل شطره الجنوبي. لماذا لا توجد دبابات في المانيا الشرقية تحمي الوحدة الالمانية مثل الدبابات الموجودة في شطر اليمن الجنوبي التي تحمي الوحدة اليمنية؟ لكن قضية الوحدة العربية بقيت قضية عاطفية هاجت وماجت ثم خابت.

تحرير فلسطين

ولم تكن قضية الوحدة العربية القضية الوحيدة التي جذبت حازم جواد وغيره الى عبد الناصر. فقد صدق وربما لا يزال يصدق هو وغيره بأن عبد الناصر كان يريد تحرير فلسطين على الرغم من ان عبد الناصر قال لمجموعة من الطلبة الفلسطينيين في عام 1961 بأنه لا يمتلك خطة لتحرير فلسطين وكرر نفس هذا الكلام امام تنظيمه الطلائعي السري في صيف 1966. وأكد ثلاثة من رؤساء اركان الجيش المصري (محمد فوزي، سعد الدين الشاذلي وعبد الغني الجمصي) عدم وجود خطة عسكرية لتحرير فلسطين. بل على العكس تثبت الوثائق والمذكرات بأنه كانت لعبد الناصر اتصالات سرية مع اسرائيل منذ عام 1953 حتى وفاته. وقبل اكثر من خمس سنوات قمت بنشر هذه الاتصالات فقامت قيامة الناصريين والبعثيين علي والصقت بي شتى التهم. وبعد عام ونصف من هذا نشر احمد حمروش وهو من ضباط عبد الناصر الاحرار نفس ما كتبته وما ذكرته بل كان احد الذين اجروا اتصالات سرية مع اسرائيل بطلب من عبد الناصر نفسه وقدم كل هذا برهانا على رغبة عبد الناصر في السلام مع اسرائيل!!!

ورغم الخطابات الرنانة ضد الولايات المتحدة الامريكية فقد اصبح واضحا ان لعبد الناصر اتصالات سرية مع رجال المخابرات الامريكية بدأت قبل ثورة 23 تموز (يوليو) واستمرت بعدها وتوقفت بعض الاحيان وعادت بعد هزيمة حزيران (يونيو) كما عبر عنها امين هويدي بعودة الاتصالات عن طريق القنوات السرية. وهذه الامور اصبحت من ادبيات ومذكرات رجال ثورة مصر. لكن العاطفة تعمي العيون وتبلد العقول.

ولكي نكون منصفين نقول انه كانت للبعثي السوري امين الحافظ خطة لتحرير فلسطين عرضها على مؤتمر القمة العربي لعام 1965. كانت فحوى خطة هذا النقيب العسكري الذي كان يترفع ثلاث مرات عند كل انقلاب عسكري يشارك فيه كما هو الحال مع بقية رفاقه البعثيين، كانت فحوى خطته ان تقوم الدول العربية بإرسال نصف مليون جندي بصورة سرية الى الضفة الغربية وعند توفر الظروف الملائمة تقوم هذه القوة بالهجوم على اسرائيل وتحرير فلسطين. لم يفكر هذا الضابط السوري الصغير بكيفية اخفاء نصف مليون جندي وكيفية اسكانهم او توفير الطعام لهم او تدريبهم او اخفاء اسلحتهم او استمرار تدريبهم وكيف يتم ابعادهم عن عوائلهم لفترة غير محدودة وكيف يتم نقل وخزن عتادهم. المأساة ان هناك شخصاً عسكرياً يمثل هذه العقلية يطرح خطة بمثل هذه السذاجة وأن هناك قمة عربية تناقشها! لكن في سوق المزايدات السياسية العربية «يتباهى» أمين الحافظ بأنه عرض خطة لتحرير فلسطين.

طالب عبد الكريم قاسم بالهجوم المفاجئ على اسرائيل. فعندما طلبت الجمهورية العربية المتحدة في بداية عام 1959 ارسال فرقة عسكرية عراقية الى سورية تحت حجة التخوف من هجوم اسرائيلي. قال عبد الكريم قاسم لرئيس الوفد العسكري المصري «هل عندكم في القاهرة الاستعداد للتوقيع على عمل معين ضد اسرائيل؟ او صلاحية للتوقيع على هذا العمل». اعتذر رئيس الوفد المصري قائلا بأنه لا يملك صلاحية النقاش في هذه الامور. فرد عبد الكريم قاسم: «في الاسبوع القادم وفي مثل هذا الوقت نجتمع هنا مع صلاحية لديكم للتوقيع على عمل معين ضد اسرائيل». وبعد اسبوع عاد الوفد العسكري المصري فقال لهم عبد الكريم قاسم: «اسرائيل (دوّخت) العرب وهي سرطان في جسد الامة العربية وفي كل معاركنا معهم لا تتجاوز حدود المعارك عن استيلائهم على قرية عربية او احتلالنا لتلة عربية وهذه امور غير مجدية ازاء الخطر الاكبر الذي يهدد الامة العربية. هل لديكم الاستعداد ومن هذه اللحظة بوضع خطة هجومية لاكتساح اسرائيل وليكن بعد ذلك ما يكون؟». فأجاب رئيس الوفد المصري: «الموقف الدولي لا يساعد». فرد عبد الكريم قاسم «يا اخي الموقف الدولي لا تتوقعه ان يكون يوما الى جانب العرب ولا تتوقع ان تكون امريكا مع العرب او حتى بريطانيا ولا الغرب كله. إنني اضمن لك دول عدم الانحياز واضمن الاتحاد السوفييتي والصين (وخلّي نتوكل على الله) ونمسح اسرائيل من الوجود». فرفض الوفد المصري وقال رئيس الوفد «لم نأت الى بغداد لهذا الغرض. نحن جئنا من اجل وصول فرقة مدرعة عراقية الى سورية». وعندما تعب قاسم من مماطلة الوفد المصري خرج من الاجتماع غاضبا وهو يقول للزعيم (العميد) الركن محي الدين عبد الحميد قائد الفرقة الرابعة «خلّي فرقتك جاهزة للحركة الى سورية خلال 6 ساعات وتنذر قطعاتك فورا». ومن اعضاء الوفد العراقي نذكر رئيس الاركان احمد صالح العبدي والزعيم الركن محيي الدين عبد الحميد محمود والزعيم الركن محي الدين عبد الحميد والرئيس (النقيب) حافظ علوان بصفته مرافق الزعيم. ربما «اختفت» الحشود الاسرائيلية بعد ان انفضحت اللعبة الناصرية ولم تعد هناك حاجة للفرقة الرابعة. كانت هناك معلومات اكيدة لدى عبد الكريم قاسم ان عبد الناصر كان ينوي استخدام هذه الفرقة للتحريض ضد نظامه. هكذا كانت تستخدم قضية فلسطين للتآمر على الانظمة العربية.

كان لعبد الكريم قاسم رؤية حول تحرير فلسطين. في نهاية عام 1959 اعلن عبد الكريم قاسم عن تشكيل فوج التحرير الفلسطيني الاول وفتح المعاهد العسكرية العراقية لتدريب الفلسطينيين. كما دعا في نفس الوقت الى قيام الدولة الفلسطينية على الضفة الغربية وغزة كي يتم منها تحرير بقية فلسطين. عبد الكريم قاسم لم يطلب ويأخذ اجرة تأجير ساعة من اذاعة «صوت العرب» لمنظمة التحرير الفلسطينية بربع مليون دولار سنويا كما فعل عبد الناصر. ولم يطلب منها بالدولار ثمن الاسلحة التي يعطيها لهم كما فعل عبد الناصر. قدم عبد الكريم قاسم المعونة العلنية والسرية للفلسطينيين. ووكالة الانباء العراقية لم تصف تحت أي عهد الفدائيين بـ «الارهابيين» كما فعلت وكالة انباء الشرق الاوسط في عهد عبد الناصر وبررته كي لا تخسر عقودها مع وكالات الانباء الاجنبية.

في آب 1958 اناط عبد الكريم قاسم مهمتين سريتين بعبدالجبار عبد الكريم (احد ضباطه في فلسطين). الاولى كانت لتدريب الفدائيين الفلسطينين وكان يشرف على العمليات داخل فلسطين رؤوف الشنطي وأمين النفوري في سورية. والمهمة الثانية كانت لتدريب بعض الكويتيين للقيام عند الحاجة بمساندة الجيش العراقي في عملية الكويت. اذكرها لاهميتها التاريخية واهمية توقيتها ولندحض ما قاله البعض بأن عبد الكريم قاسم اثار موضوع الكويت ليبعد النظر عن مشاكله مع الاكراد عام 1961. وللامانة اذكر بأن عبد السلام عارف كان يبلغ تعليمات عبد الكريم قاسم لعبد الجبار عبد الكريم. ومعرفة عبد السلام عارف بها قد تفسر برقية اخيه الرئيس الاسبق عبد الرحمن عارف الى صدام حسين عند غزو الكويت والتي قال فيها «لقد حققت حلما قديما».

هكذا كانت رؤية عبد الكريم قاسم عن تحرير فلسطين وسواء كانت هذه الرؤية سليمة او واقعية فإنها على الاقل كانت تعني تدريب الفلسطينيين وتزويدهم بالسلاح والمال لتحرير وطنهم ومن دون القاء خطابات رنانة فارغة.

الفعل أم رد الفعل؟

يحاول اعداء (ومنهم حازم جواد) عبد الكريم قاسم ذر الرماد في العيون عند كتابة مذكراتهم عندما يضعون ردود افعال عبد الكريم قاسم في محل افعالهم. لذلك يصورونه وكأن لديه معرفة مسبقة بكل ما يحدث من مؤامرات واجهزة لتحليل المعلومات تتنبأ بكل دقة وبكل تصرف ما يحدث في الشارع السياسي بل وكأنه يحرك ويتلاعب بالمتآمرين ضده بينما في الواقع ان كل ما كان يقوم به عبد الكريم قاسم هو رد فعل تجاه تلك الاحداث.

هاجم حازم جواد عبد الكريم قاسم واتهمه بالتقلب والانتهازية ومهادنة الطبقات الرجعية بل استنجد حازم جواد بهرطقة زكي خيري عندما ينقل عنه بأن عبد الكريم قاسم ضرب الحزب الشيوعي بنصيحة من السفير الامريكي. ان هراء القادة الشيوعيين لا يختلف عن هراء البعثيين او القوميين او الاسلاميين. هل هناك وثيقة امريكية واحدة تؤيد ان السفير الامريكي اقترح على عبد الكريم قاسم ضرب الشيوعيين؟ وهل كان عبد الكريم قاسم من النوع الذي يستمع الى نصائح السفير الامريكي؟ ألم يدع البعثيون والقوميون أنفسهم بـ «عدم رجاحة» سلوك عبد الكريم قاسم عندما كان يعطي موعدا في السابعة صباحا للسفير الامريكي او البريطاني اذا اراد أي منهما مقابلته؟ ليقرأ حازم جواد تصريحات انقلابيي 8 شباط (فبراير) عن طريقة معاملة عبد الكريم قاسم للسفير الامريكي قبل ان ينقل لنا هراء زكي خيري.

زكي خيري لا يعالج سلوكية الحزب الشيوعي ودمويته واخطاءه الفادحة ولا يرغب في ان يتحمل مسؤوليتها لذلك يلجأ الى قصص من صنع الخيال. وزكي خيري لا يفهم الضغوط التي كانت تمارس من قبل الضباط والسياسيين على عبد الكريم قاسم لضرب الحزب الشيوعي. وبمناسبة الحديث عن الوثائق الامريكية فأنا امتلك الوثائق التي تدين كل المحاولات الانقلابية ضد عبد الكريم قاسم بما فيها محاولة الاغتيال التي شارك فيها صدام حسين.

إن اتهام عبد الكريم قاسم بضرب الأحزاب ببعضها «لإطالة نظام حكمه» مرفوض ولسبب بسيط. لأن هذا يعني ان عبد الكريم قاسم كان يمتلك خطة مسبقة وعلماً مسبقاً بالأحداث. لأن هذا يعني ان عبد الكريم قاسم كان يحرض البعثيين وعبد السلام عارف على المطالبة بالوحدة الفورية. لأن هذا يعني بأن عبد الكريم قاسم كان وراء محاولة عبد السلام عارف الانقلابية في أيلول (سبتمبر) 1958. لأن هذا يعني بأن عبد الكريم قاسم كان وراء محاولة احمد حسن البكر الانقلابية في تشرين الاول (اكتوبر) 1958. لأن هذا يعني بأن عبد الكريم قاسم كان وراء محاولة صالح مهدي عماش لاغتياله في تشرين الثاني (نوفمبر) 1958. لأن هذا يعني بأن عبد الكريم قاسم كان وراء محاولة رشيد عالي الانقلابية في كانون الاول (ديسمبر) 1958. لأن هذا يعني بأن عبد الكريم قاسم كان وراء محاولة الشواف الانقلابية في آذار (مارس) 1959. لأن هذا يعني بأن عبد الكريم قاسم كان وراء هتافات «حزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيم» في أيار (مايو) 1959. لأن هذا يعني بأن عبد الكريم قاسم كان وراء محاولة الشيوعيين الانقلابية في حزيران (يونيو) 1959. لأن هذا يعني ان عبد الكريم قاسم كان وراء قيام الشيوعيين الأكراد بجرائم كركوك البشعة. لان هذا يعني انه كان وراء تحريض شاه ايران والمخابرات الامريكية للقيادة الكردية بالعصيان. لأن هذا يعني انه كان وراء الاعيب شركات النفط ضد العراق وضد حكومته. لأن هذا يعني انه كان وراء محاولة اغتياله الدموية في تشرين الاول (اكتوبر) 1959.

ولا بد ان نسأل «عباقرة» الأحزاب السياسية كيف تمكن «ضابط بسيط» و«عديم الثقافة والخبرة السياسية» ان يلعب بكم «شاطي باطي» كما يقول المثل العراقي؟ وبهذه السهولة؟ هل هذا الاتهام بحق عبد الكريم قاسم إساءة له أم يوضح لنا مقدار «ثقافة وخبرة وقدرة معارضيه»؟

ان اتهام عبد الكريم قاسم بـ «ضرب الأحزاب ببعضها» كما أوضحنا يهزم ذات من يستخدمه (Self Defeating) ومرفوض لأنه ليس بيت القصيد. مرفوض لأنه يركز على «ردود الأفعال» ويحمّل «مسؤولية ردود الأفعال». والصحيح هو مناقشة «الأفعال». والصحيح هو مناقشة «مسؤولية الأفعال». ما هو الفعل؟ ومن قام به؟ عدا ذلك سندخل في متاهات التعمية على الأحداث. وسنصبح شركاء في جريمة تزييف التاريخ. لم يكن عبد الكريم قاسم ينتهي من مواجهة التطرف البعثي ـ القومي حتى واجه التطرف الشيوعي ولم يكن ينتهي من مواجهة هذا التطرف حتى انفجر التطرف الكردي.

* آكاديمي عراقي في جامعة «تواندا» في هولندا

عبدالجبار عبدالكريم عام 1963

وزير الخارجية هاشم جواد، عبدالكريم قاسم، رئيس الاركان احمد صالح العبدي، حافظ علوان، عبدالجبار عبدالكريم

رغم الخطابات الرنانة ضد الولايات المتحدة الامريكية فقد اصبح واضحا ان لعبد الناصر اتصالات سرية مع رجال المخابرات الامريكية بدأت قبل الثورة واستمرت بعدها وتوقفت بعض الاحيان وعادت بعد هزيمة حزيران (يونيو) ... وهذه الامور اصبحت من ادبيات ومذكرات رجال ثورة مصر. لكن العاطفة تعمي العيون...